

امرأة لا كالتساء!

الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

كان يوماً باكياً مشهوداً، يوم خرجنا فيه ذاهلين مشيعين وقد علانا الحزن، وجللنا الأسي لرحيل امرأة فذة من نساء دمشق الشام، تفرّدت بخلالٍ قلّ أن يتّصف بها رجال!!

نعم! ربّ امرأة هي خير من ألف رجل!

تلك هي الأستاذة الداعية الفانية في ربّها، العاشقة لنبّيها، الغيّورة على دينها الصّالحة القاننة

سميرة الزايد - عليها رحمت الله - .

إذا ذكرت الهمة في القرب، وشؤون الطاعة ذكرت الأنسة سميرة!

ويحدثونك عن صيامٍ دامت عليه سبع سنين، وأنعم بقربة توّهلها لدخول الجنان من باب الرّيان!

وحرص على قيام الليل لا ينقطع في كل الأحوال، وهذا حال أهل الكمال والنوال.

ودوام على إحياء ما بين الصّبح والشّروق ولا يؤتاه إلا أرباب الهمم العليّة، المعتملين للدّرجات على ممرّ السّاعات.

ولزوم الوظائف الشّريفة وعدم التخلّف إلى أن صارت في أواخر العمر الزاهر تغسل كُلاها ثلاث مرات كلّ أسبوع.

ومن رفيع كلامها في هذا الشّأن: {من تحمّل مِرَّ المجاهدة ذاقَ طعم الوصال!}.

إذا ذكر القرآن العظيم ذكرت الأنسة سميرة!

فتعاهاها للقرآن هجاهاها فف الااا والاصال!

وذكر انها تقرأ اون سامة كل يوم اطول سورة فف القرآن، وتساءل من لقت عن ااهم مع القرآن، وحرصهم على الفرقان لتستحهم ااماً للنتزه فف رفاضه، والهلول فف بسائنه.

واذا ذكرت الاخالق السنية والشمال المرصفة ذكرت الانسة سميرة!

فحادث عن كرمها ولا ارج!

وعن صراحتها فف قول الحق؛ وهذا من شفم الاكار.

وعن تشاهاها على نفسها؛ وهذا من شفم السلف الصال.

وعن زهاها وعدم الخوض فف ذكر الدنيا وشهوات اهلها!

واذا ذكرت العنافة بالانفاس ذكرت الانسة سميرة!

فحرصها على عدم تضفيع انافة اون نفع - كما حادث عنها قرااهاها ومن خالطها - مشهور!

وحدث لذلك عن قلة الكلام والطعام والنام ولا ارج، وهذا مشهور فف كتب التراجم عما مضى من صلحاء واخبار العلماء العالمف!

وهذا حال كل من عرف حرمة الوقت؛ فانه يضن بالنافة فضلاً عن الساعة او اليوم!

ولسان حال كل واحد من هؤلاء المعظمف لحرمة الساعات يقول لكل من فرفا ان فاخذ منه ساعة

للغو من القول او العمل - امسك الشمس!!

هل فقرر ااا على امساك الفلك عن اورانه!؟

لا، فلنجل الاوقات فف كل الحالات!

واذا ذكرت الغفرة على الحرماا ذكرت الانسة سميرة!

فكلّ من خالط هذه المباركة رأى حرصها على غيبة المسلمين والمسلمات، الأحياء والأموات وهذا لعمري من أجلّ الخلال التي يتصف بها سادة الرجال!

هذا خلقٌ مصطفىٌّ وشأنٌ نبويٌّ!

ألم يرد في الشّمائل أن مجلسه - صلى الله عليه وسلم - كان لا تُؤبّن فيه الحُرْم¹ ولا تُنثى فلتائه².

ومن غَيرتها: سؤالها الدائم عن البنات، وأحوالهنّ وخروجهنّ وترددهنّ، وملايسهنّ إلى غير ذلك.

وفي شأنها الخاصّ اشتهرت بعنايتها بشأن المحرم للسفر، وهذا خلق المؤمنة الصائنة للعرض، الوقّافة عند الحدود!

وإذا ذكرت الدعوة وهمّ البلاغ عن الله تعالى ذكرت الأنسة سميرة!

ومن شجون ذلك وموافقه المعبرة؛ أنها تعلّقت مرّةً بأستار الكعبة بعد أشواقٍ للخلاق ونبيّ الخلاق

فقالته والهة: **رَبِّي سَخَّرَ لِي كُلَّ لِحْظَةٍ لِمَرْضَاتِكَ، سَخَّرَ كُلَّ خَلِيَّةٍ مِنْ بَدَنِي لِحُدْمَةِ دِينِكَ!**

وأثر عنها أنّها قالت:

ضع كلّك على الدّعوة واخدم الدّين حتى آخر نفس!

وهذا من رفيع تلك العبارات المعبرّات عن خدمتها لدينها وملّتها!

وإذا ذكرت السيرة المطهرة لشؤون الحبيب الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - ذكرت الأنسة

سميرة!

¹ الأبن: العيب والحُرْم: جمع حُرْمَة، أيّ أن المجلس مصوّن عن الأقوال والأعمال السيئة.

² أي لا تشاع وتذكر سقطاته وهفواته.

وماذا نقول عن عناية هذه المتبحرة في شؤون سيرة سيدنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

فقد أفنت في ذلك حياتها، حتى غدت أشهر امرأة عُنت بالسيرة النبوية في هذا العصر، وكتابها الجامع في هذا أشهر وأكبر كتاب أُلّف في هذا العصر في ستة مجلدات.

وقد وصّف العلامة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الشهيد - رحمه الله - هذا الكتاب بأنه عمل فريد من نوعه، لم يُسبق به بعد وجدير به أن يسمّى حقاً الجامع في السيرة النبوية.

ووصفه بالإنجاز العظيم والجهد المبارك الكبير وإنّه جهد قلّمَا يستطيع أن يستقلّ وينهض به فرد واحد!

وقد ذكّرت الأستاذة صاحبة هذه الكرامة النبوية بنفسها -رحمها الله تعالى- أنّ مدّة إنجاز هذا الكتاب الفعلية ثلاثة عشر عاماً على مرحلتين: الأولى من عام 1977 - 1987م والثانية من عام 1988 - 1991م

وشكّرت الدكتور سعيد -رحمة الله عليه- وأنه كان له الفضل الأكبر في رسم منهج العمل، وكان من ورائه والرّاعي له.

أقول: قال لي أحد قراباتها - رحمة الله عليها - عندما دُعيت لأخذ الجائزة على هذا الكتاب عام 2000 م في (بروناي)، كانت في غاية التواضع وقد استعجلت في بعض المواقف للحضور فلم تعجّل؛ وأعطت وضوءها حقّه من الإتيان بالسُنن المرعية النبوية! فقلتُ في نفسي: هذا أمانة ظاهرة على عشق صاحب السنّة والسيرة التي عرفتها وأفنت في ذلك زهرة حياتها!

نعم! ما نفع أن أدبج المقالات وأصدّر الكتاب تلو الكتاب في شؤون السنّة والسير ثم أهمل سنن صاحب السنّة، وهيأت عباداته ومعاشراته!؟؟

ويتزيّن كثيرون بشروح الأحاديث، ويتأقنون في معانيها، وأصولها اللغوية، ونكاتها البلاغية، ودقائق الكلام عن الرجال الرواة لذلك إلى غير ذلك ولكن لا نرى مجلى لهذه الآثار والتعلقات بالنبي المختار وقد عاشت هذه المرأة الفذة حياتها موصولة وموصلة، ومرفوعة ورافعة، وهادية ومهدية، إلى أن فاضت روحها راضية مرضية إن شاء الله تعالى.

نعم! رآلت من اشآهت بالسيرة ونقاء السريرة، ولكن سآبقى من مرآع الاهداء بامام الأتقفاء،
ونبى الأصففاء، فآهنأ ولبهنأ كل من سار على هديها؛ وبآصآة من نساءنا وبنائنا، ولا نقول إلا ما
يرضى ربنا:

إنا لله وإنا إليه رآجعون

والحمد لله أولاً وآآراً ظاهراً وباطناً، وعلى كل آال.

دمشق الشام

عشية السبت 17 من شعبان المبارك 1441هـ

الموافق لـ 2020/4/11 م

